

نفحات القرآن

[171] إِنَّ كَثْرَةَ وَوَفْرَةَ آيَاتِ اللَّهِ فِي عَرْضِ السَّمَوَاتِ، وَجَمَالَ السَّمَاءِ فِي اللَّيْلِ، دَفَعَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ وَالْأَحَادِيثُ إِلَى دَعْوَةِ النَّاسِ بِاسْرِهِمْ وَخَصِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ أَجْلِ كَسْبِ الْمَزِيدِ مِنَ الْإِيمَانِ، فيقول القرآن الكريم في الآية 6 من سورة ق: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ)؟! وقد أَمَرَتِ الروايات "المستيقظين في الاسحار" خاصة، أن ينظروا إلى السماء أولاً حينَ ينهضون "لصلاة الليل"، وأن يقرؤوا الآيات الأخيرة من سورة آل عمران التي تنعكس فيها جميعُ هذه الحقائق بنحو عرفانيٍّ: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .) ثم يتوجهون نحو العبادة (حيث يمتليء الدعاء بعطر التوحيد ومعرفة الله) (1). ورؤيَ أن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) حينما كان ينهض إلى صلاة الليل يبتدأ بالمسواك ثم يلقي نظرةً على السماء، ويردد هذه الآيات (2). وورد في صفات أمير المؤمنين ((عليه السلام)) أيضاً عن أحد أصحابه ويدعى (حبة العرنى) حيث قال: "بيننا أنا ونوف (أحد أصحاب الإمام علي ((عليه السلام))) نائمين في رجة القصر إذ نحن بأمر المؤمنين ((عليه السلام)) في بقية من الليل، واضعاً يديه على الحائط شبيه الواله، وهو يقول: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) إلى آخر الآية، قال: ثم جعل يقرأ هذه الآيات ويمرّ شبه الطائر عقله، فقال لي: أراقدُ أنت يا حبه أم راقق؟ قال: قلت: راققٌ هذا أنت تعمل هذا العمل فكيف نحن؟ فأرخی عينيه فبكى، ثم قال لي: يا حبه، إنَّ موقفاً ولنا بين يديه موقفاً لا يخفى عليه شيء من أعمالنا، يا حبه إنَّ أقربَ إليَّ واليك من حبل الوريد، يا حبه إنه لن يحجيني ولا إياك عن الله شيء . . . " (3).